

السياسة الخارجية الروسية في عهد بوتين مفهومها واستراتيجيتها

السيد محمد السيد عمر¹

عبير محمد عاطف الغندور²

رحان سلامة عبد الباسط محمد³

ملخص

تهدف الدراسة إلى توضيح الملامح الأساسية للسياسة الخارجية الروسية من خلال تحديد مفهوم السياسة الخارجية الروسية ومبادئها وأهدافها ودوائر حركتها، بالإضافة إلى دراسة تأثير صعود الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على هذه الاستراتيجية الخارجية الروسية منذ عام 2002، وتوضيح الركائز الداخلية والخارجية لهذه السياسة وعلاقتها بالاستراتيجية الروسية للأمن القومي.

كما تحاول استعراض مراحل تطور الاستراتيجية الخارجية الروسية منذ عام 2002، وكيف أثر متغير القيادة الروسية المتمثل في الرئيس بوتين في تحديد مراحل هذه الاستراتيجية التي شملت مرحلتين هما مرحلة إعادة البناء أو ما يسمى "عقيدة استعادة الدولة"، ومرحلة بناء القوة العسكرية العابرة للقارات "عقيدة فرض الاحترام". بجانب دراسة العلاقة الارتباطية بين هذه الاستراتيجيات ودوائر السياسة الخارجية الروسية التي تمثلت في التوجه الغربي (الأوروأطلسي)، والتوجه الآسيوي (الأوراسي)، والتوجه الشرق أوسطي.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجية الروسية - السياسة الخارجية الروسية - مبادئ السياسة الخارجية الروسية

¹ أستاذ العلوم السياسية - كلية التجارة وإدارة الأعمال - جامعة حلوان

² أستاذ العلوم السياسية - كلية التجارة وإدارة الأعمال - جامعة حلوان

³ باحثة ماجستير بقسم العلوم السياسية - كلية تجارة وإدارة الأعمال - جامعة حلوان

Abstract

The study aims to clarify the basic features of Russian foreign policy by defining the concept, principles, goals and circles of Russian foreign policy, in addition to studying the impact of the rise of Russian President Vladimir Putin on this Russian foreign strategy since 2002 and clarifying the internal and external pillars of this policy and its relations with the Russian strategy for national security.

The stages of the development of the Russian foreign strategy since 2002 have also been reviewed, and how the Russian leadership variable represented by President Putin affected the determination of the stages of this strategy, which included two phases: the reconstruction phase, or the so-called "state restoration doctrine," and the stage of building intercontinental military force. Impose respect. " In addition to studying the correlational relationship between these strategies and the Russian foreign policy spheres, which were represented by the Western (Euro-Atlantic) orientation, the Asian (Eurasian) orientation, and the Middle Eastern orientation.

Keywords:

Russian Strategy - Russian Foreign Policy - Principles of Russian Foreign Policy

البحث

أحدث انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء مرحلة الحرب الباردة منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، تغيرات في خريطة السياسة الدولية وهيكلية النظام الدولي، كما أثر على سياسات الدول الكبرى. و تتمثل أبرز النتائج الناجمة عن هذا التغير في محاولة الولايات المتحدة الأمريكية التفرد بمجريات السياسة العالمية. ونتيجة لذلك واجهت روسيا الاتحادية -وريثة الاتحاد السوفيتي السابق- مجموعة من العقبات في صياغة الاستراتيجية الروسية الجديدة خاصة في ظل عدم التكافؤ بين السعي لاستعادة دور فاعل في النظام الدولي وبين الإمكانيات الداخلية ومتطلبات عملية التنمية في مرحلة التعافي من آثار تكلفة الصراع في عهد الحرب الباردة طيلة عهد الثنائية القطبية الأمريكية والسوفيتية، وتبعات تفكك الاتحاد السوفيتي السابق وزوال منظومة البلدان الاشتراكية في أوروبا الشرقية ، وموجة التحول الديمقراطي التي أعقبت تلك الحداث الكبيرة .

و تمحورت السياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بكل جلاء حول السعي بكل السبل إلى استعادة روسيا الاتحادية المكانة الدولية التي كان الاتحاد السوفيتي السابق يتمتع بها، وتحدي المسعى الأمريكي لإقامة نظام أحادي القطب. وتبوء الشرق الأوسط مكان الصدارة في سعي روسيا الاتحادية إلى تحقيق ذلك الغرض عبر التدخل في كافة قضايا منطقة الشرق الأوسط و السعي إلى إقامة علاقات استراتيجية مع مختلف دول المنطقة، لتثبيت وتعميق دورها في قضايا الأمن والسلم الدوليين، على نحو يحول دون تفرد

الولايات المتحدة بالهيمنة على السياسة الدولية، والنظم الإقليمية الفرعية. وفي هذا السياق جاء الحرص الروسي على تعزيز العلاقات مع مصر في كافة المجالات باعتبارها دولة إقليمية محورية ذات تأثير ملحوظ في محيطها الإقليمي . وتعاضم الاهتمام الروسي بمصر في فترة ما بعد سقوط نظام مبارك ، ومرور مصر بفترة سيولة انتقالية في ظل مجريات ثورات الربيع العربي وتداعياتها الداخلية والإقليمية والعالمية، التي هددت بوجود حالة من الفراغ الاستراتيجي في المنطقة، وتراجع القدرات القومية العربية في مواجهة التحديات الداخلية والإقليمية والدولية.

وعزز من هذا التوجه الروسي ، التوجه المصري في السياسة الخارجية المصرية في عهد ما بعد مبارك إلى الانفتاح على الشرق والغرب معا ، و تعميق العلاقات مع بلدان الخليج العربي بما لها من ثقل بالنسبة لسوق الطاقة العالمي ، وبما لها من أهمية في شتى ملفات القضايا الأفروآسيوية ، علاوة على ما لمصر من أهمية فريدة بالنسبة لروسيا الاتحادية لكونها هي أكبر وأهم دولة عربية ولكون ما يحدث فيها يتعدى أثره بالضرورة إلى محيطها الإقليمي العربي والإسلامي ، مما يجعلها واحدة من أهم الفاعلين الدوليين المؤثرين في مجريات السياسة الإقليمية والدولية، والمتأثرين بها .

ولعله من نافلة القول ، في ضوء ذلك المسعى الروسي لاستعادة وضعية القوة العظمى ، واعتبار الشرق الأوسط فضاء إقليميا للتنافس الروسي على النفوذ في مواجهة الولايات المتحدة والقوى الغربية الحليفة لها ، أن انتهاء الحرب الباردة

السوفيتية الأمريكية لم يسفر عن انتهاء التنافس الأمريكي الروسي على النفوذ في الشرق الأوسط، والذي تمتلك مصر وزنًا كبيرًا في معادلته الجيوستراتيجية. ولم تستحوذ المنطقة العربية على اهتمام روسي بالغ لمجرد قيمة العلاقات معها بحد ذاتها لما بها من ثروات وفرص استثمار وسوق للسلاح بما يعزز فرص التنمية في روسيا، وإنما لما لتلك العلاقات من أثر متعدي في التنافس الروسي الأمريكي على المكانة الإقليمية والعالمية وسيلة للحصول على المكاسب ضد القوى الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. ويفسر ذلك توجه السياسة الخارجية الروسية بقيادة الرئيس "فلاديمير بوتين"، إلى تقديم الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي لحلفائها خاصة في ظل هشاشة النظام الإقليمي العربي؛ كمفتاح لتعميق آفاق التأثير في مجريات السياسة العالمية.⁽⁴⁾

ويزيد من أهمية هذا التلاقي بين السياسة الخارجية الروسية والسياسة الخارجية لمصر ما بعد مبارك أن هذه التوجه ليس وليد اليوم بل له جذوره وثوابته في العلاقات المصرية السوفيتية في الحقبة الناصرية. وترتكز العلاقات الروسية - المصرية بوجه عام على مجموعة من المعطيات الداخلية والإقليمية والدولية، خاصة في ظل الاستراتيجية الروسية المتعلقة بترسيخ نفوذها واستعادة مكانتها الدولية من خلال المنطقة العربية، على نحو ما أكدته تدخلها في الأزمة

⁴- مصطفى صلاح، حدود التأثير ومستقبل الدور: الدور الروسي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، بتاريخ 29 يناير 2018م، على الرابط: www.acrseg.org.40666

السورية. و أبدت مصر قدرًا ملحوظًا من التفاهم مع تلك السياسة الخارجية الروسية الجديدة في المنطقة ، واتخذت العلاقات الروسية - المصرية مسار التقارب في فترة ما بعد ثورة 1952 ثم تقلصت تلك العلاقات نسبيًا بعد حرب أكتوبر 1973 وتوجه السادات نحو الغرب ، ثم استعادت تلك العلاقات عافيتها بعد تبنت مصر ما بعد مبارك مبدأ السعي إلى سياسة خارجية أكثر توازنا في العلاقات مع الولايات المتحدة، والبحث عن علاقات أكثر تقاربًا مع روسيا (5)

وفي هذا الفضاء المعرفي يأتي موضوع هذه الرسالة وتتبع إشكالياتها وآفاق تحليلها وأهميتها الأكاديمية والتطبيقية . ويقوم معمار مقدمة هذه الدراسة على إلقاء إضاءة معرفية على كل من : إشكالية الدراسة ، وأهميتها ، وأهدافها ، ومنهجها ، والتعريف بالمفاهيم الرئيسة فيها ، وإطلالة على الأدبيات السابقة ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بموضوعها ، و هيكلها ، وذلك على التفصيل التالي:

اشكالية الدراسة

بؤرة هذه الدراسة هي الحفر المعرفي في ثوابت ومتغيرات تعامل السياسة الخارجية الروسية مع مصر في فترة ما بعد مبارك. و هناك أساسيات تمليها المصلحة القومية الروسية في تفاعلها مع ثوابت المصلحة القومية المصرية، يتعين

⁵- مصطفى صلاح، عودة الدب الروسي: موسكو تهزم واشنطن في الشرق الأوسط، جريدة البوابة، السنة الثالثة، بتاريخ 22 أكتوبر 2018م، ص 8.

بيانها، توطئة لدراسة السياسة الخارجية الروسية تجاه مستجدات الواقع المصري في عهد ما بعد مبارك بكل معطياته الداخلية والإقليمية والعالمية .

ولهذه الدراسة الموسومة (السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر ما بعد مبارك) محوران تتحدد إشكاليتهما في ضوئهما ، أولهما : بناء مفهوم السياسة الخارجية الروسية . وثانيهما : توجهات تلك السياسة تجاه مصر في العقد الأخير .

ويدور المحور الأول حول منظومة من الأسئلة الفرعية تشمل : ما هي بنية مفهوم السياسة الخارجية الروسية في عهد ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ووراثة روسيا الاتحاد نصيب الأسد من القوة القومية السوفيتية القومية الشاملة في كل المجالات ؟ وما هي معالم استراتيجية تلك السياسة ؟ وكيف تصنع تلك السياسة؟ وما هو موقع بوتين في صنعها ؟ وما هي دوائرها وانماطها ؟ وما هو موقع مصر فيها ؟ . وبما ان السلوك الروسي تجاه مصر له ثوابته ومتغيراته ذات الأبعاد الداخلية

والإقليمية والعالمية ، فما هي سمات السلوك السياسي الخارجي الروسي ؟ وما هي أنماط ذلك السلوك؟ وما هي أنماط الصورة الإدراكية للسياسة الخارجية الروسية ؟ وما هي منظومة أهدافها وانماط إدارتها ؟.

ويتشابك المحور الثاني مع الأسئلة التي يثيرها المحور الأول من زاوية أن بؤرة التركيز ينبغي أن تنصب على ما تصبه تلك الأسئلة في بوتقة السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر في السنوات العشر الأخيرة . واستدعاء خبرة الماضي ضرورة لعدم التحرك في فراغ . كما أن تلك السياسة الخارجية تتفاعل مع السياسة الخارجية والداخلية في مصر ما بعد مبارك . وفي ضوء ذلك تتحدد الأسئلة المتعلقة بهذا

المحور : ما هي ثوابت كل من المصلحة القومية الروسية والمصلحة القومية المصرية؟ وما القواسم المشتركة بينهما عامة وفي الفترة محل البحث بوجه خاص؟ ما هي المعالم الكبرى لجدلية العلاقات بين الثوابت المصرية والروسية على كل من : الصعيد الداخلي والإقليمي والعالمي؟ ما هو واقع السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر ما بعد مبارك؟ وما هي آفاق مستقبلها؟

منهجية الدراسة

تنطلق منهجية هذه الدراسة من حقيقة أن السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر ما بعد مبارك ، تتطلب شأنها شأن أي ظاهرة سياسية مقاربتها عبر رؤية كلية حاكمة لها ، وإطار مرجعي ناظم لتوجهاتها وتفاعلاتها ، ورؤيتها ضمن سياق كلي يستدعي معطيات بيئتها الداخلية والإقليمية والعالمية ، كما يستدعي إطلاقة على ماضيها وعلى مستقبلها ، وعدم حصر المعالجة في معطياتها في اللحظة الراهنة المتمثلة في السنوات العشر الأخيرة . وتلك هي منهجية المعالجة وإطارها العام . وعبر تلك المنهجية ومضمون إشكالية الدراسة وأهدافها سألغة الذكر ، تستعين الباحثة بثلاثة مناهج من مناهج البحث في العلوم السياسية ، أولها : منهج بناء الصورة الإدراكية لصانعي السياسة الخارجية بمستوى خريطة الإدراك المعرفي للقيادة السياسية الروسية بزيادة بوتين . وثانيها : المنهج الوصفي التحليلي فيما يتعلق بالتأصيل النظري لموضوعها . وثالثها : منهج تحليل السياسة الخارجية في التطبيق الذي هو أنسب المناهج في تجلية الأبعاد

التطبيقية لجدلية تلك السياسة مع هموم الواقع المصري المباشرة وغير المباشرة في السنوات العشر الأخيرة .

و يتجادل منهج بناء الصورة الإدراكية مع كل من المنهج الوصفي التحليلي ومنهج تحليل السياسة الخارجية في التطبيق بالنظر إلى أن السياسة الخارجية لا تتعلق بالواقع السياسي كما هو بقدر تعلقها بتصور القائمين على صنعها وتنفيذها لذلك الواقع ، كما تختلف الصورة المعيارية لتلك السياسة بالقطع عن واقعها في التطبيق بما فيه من تشابكات وتعقيدات ومحددات⁶.

ومن الضروري التأكيد هنا على أن زاوية التكييف الإجرائي لمناهج البحث المذكورة لموضوع هذه الدراسة هي : المصالح القومية المتقابلة لكل من مصر وروسيا الاتحادية كما تتصورها النخب السياسية الحاكمة حاليا في الدولتين . فتلك المصلحة القومية المتصورة هي الناظم الرئيس لصياغة السياسة الخارجية وتبريرها وتنفيذها . فما السياسة الخارجية إلا برنامج يجسد رؤية صانعيها ومنفذها

⁶ . لمزيد من التفاصيل حول تلك المنهجية والمنهجين اللذين ستستعين بهما هذا الدراسة راجع : السيد عمر ،مناهج البحث في العلوم السياسية ، القاهرة :مطبعة نور الإيمان،2018، ص:98-104 ، ص : 185-188 & السيد عمر ، مقدمة في نظرية السياسة الخارجية ، الإسكندرية : مؤسسة الشنهاي ، 2004 ، ص40-45 & منى أبو الفضل ، مدخل في المنهجية : نقاط أولية ، القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، د.ت ، ص 23-30 .

والمتفاعلين معها للأمن القومي بدوائره الثلاث الرئيسية : بقاء الدولة ، وحفظ نظامها السياسي ، ونظام نظام حكمها حفظ بقاء ونماء وارتقاء⁷ .
و تأسيسا على ذلك فإن المصلحة القومية هي محور الارتكاز للسياسة الخارجية لأي دولة من الدول، بتوجيه كل مقدرات القوة القومية الشاملة في كافة المجالات لخدمتها هو الهدف النهائي للسياسة الداخلية والخارجية لمختلف الدول.(8).
من الدول، فالسياسة الخارجية بالضرورة تعني الاستخدام العقلاني للوسائل المتاحة من الموارد لتحقيق مصلحتها القومية؛ وبالتالي فإن المصلحة القومية هي الهدف النهائي للسياسة الخارجية لمختلف الدول".(9)

الإطار المفاهيمي للدراسة

المفهوم الرئيس الذين تتفرع عنه كافة المفاهيم المستدعاة في هذه الدراسة هو: مفهوم السياسة الخارجية . ومع تعدد التعريفات التي يطرحها علماء السياسة لهذا المفهوم المفتاحي ، فإنها تلتقي حول اعتبار بؤرة المضمون الدلالي الاصطلاحي له هو : سلوك صانعي القرار الخارجي ، وما يكمن وراءه من عقيدة سياسية

⁷ لمزيد من التفصيل راجع : السيد عمر، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأمن القومي، كتيب ملحق مجلة الدفاع السعودية، ربيع الآخر 1430 هـ - إبريل 2009 .

⁸ - محمد عبدالعظيم الشيمي، تنفيذ السياسة الخارجية المصرية في أزمة الخليج الثانية (1990 - 1991)، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الأولى، 2014م، ص 118.

⁹ - محمد عبدالعظيم الشيمي، تنفيذ السياسة الخارجية المصرية في أزمة الخليج الثانية (1990 - 1991)، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الأولى، 2014م، ص 118.

ومن رؤى جيواستراتيجية وبرامج للتفاعل مع الوحدات الدولية بمختلف صنوفها . فالسياسة الخارجية لأي فاعل دولي عبارة عن: برنامج ناظم لسلوكيات وحدة دولية معينة يتبعها الممثلون الرسميون للدولة بهدف التأثير على سلوكيات الوحدات الدولية التي يتفاعلون معها بغية باتجاه ما يتصورون أنه يصب في خدمة مصلحتها القومية (10).

وترتبط السياسة الخارجية فيما يقوله العلامة اسماعيل صبري مقلد بالخبرة المتراكمة لدى مؤسسات صنع القرار الدولي في صياغة وتطبيق قرارات استراتيجية وتكتيكية كثيرة باستمرار تحت ضغط ظروف دولية متقلبة وغير مستقرة، سعياً منها إلى حماية المصالح العليا للوحدة الدولية التي يمثلونها وتحقيق طموحاتها والارتقاء بمستوى نفوذها مكانتها في المجتمع الدولي . (11)

وتتسع الدلالة الاصطلاحية لمفهوم (السياسة) لتشمل : كل جهد منظم يسعى من خلاله طرف إلى تحريك طرف آخر في علاقة تفاعلية سعياً إلى تنفيذ خطة ما تتعلق بتدبير أمور الدولة في الداخل أو في الخارج. هي بالأحرى السلوك الإنساني المتعلق بإدارة الموارد بين البشر في علاقة تخص ثلاثة أطراف في أبسط صورها: الإنسان والوطن وبقية العالم ، ومحورها هو قدرة البعض على التأثير على الآخرين وتحريكهم لجلب النفع أو الضرر لأنفسهم أو للغير .

¹⁰- إسماعيل صبري مقلد، نظرية السياسة الخارجية: الأصول النظرية والتطبيقات العملية، الجيزة: المكتبة الأكاديمية، 2013م، ص 7.

¹¹- المرجع السابق، ص 139:140.

والسياسة الدولية هي: التفاعل والعلاقات بين جماعات قومية منظمة ، ومبادئ واستراتيجيات السلوك الخارجي للدول والقدرة النسبية لكل منها والبيئة الدولية وأدوار وأساليب المنظمات الدولية والشركات الدولية. ومحور السياسة منوع فقد يكون حكم القلة للأغلبية أو الصراع من أجل حياة القوة ، أو إرادة السلطة أو إرادة التسلط على إرادات الآخرين أو إرادة التوفيق بين إرادات متعارضة أو إرادة التعاون. والسياسة - إذن - ليست نشاطاً أحادي الاتجاه ، وليست هي التوافق بل هي السعي المتواصل إلى التوافق بل هي تفاعل موجه يجمع بين الفردية والجماعية وتتعدد أساليبه ويرمي إلى التوفيق بين رؤى متعددة ويقبل الحل الوسط ويتأثر مضمونه وسلم أولوياته حسب معطيات أنساق أطراف العلاقة السياسية.

ويرتبط مفهوم " السياسة " بمفهوم " الدور " الذي هو بدوره مفهوم علاقي هادف متعمد ذو طابع حركي وتراكمي بمعنى أنه جهد مقصود يتركز حول أداء وظيفة أو مهمة ، أي أنه يرتبط بمكانة طرف فاعل يقوم بمهمة ويشغل مكانة معينة في ظرف بيئي محدد ويتحرك بمبادرة ذاتية أو كرد فعل أو بتكليف من الآخرين ، ويرتبط بالسلوك ويحتاج إلى حيز زمني ويجمع بين التأثير المتبادل بين أطرافه وبين الطابع الذاتي والموضوعي طالما كان القائم به والمستقبل له بشراً محكومين بمعطيات البيئة الداخلية والخارجية. وهو يحتاج بالتالي إلى توفر إمكانية لتحويل القوة الكامنة إلى سلوك فعلى بضوابط ، وعملية تنشيط مستمرة للتفاعل بين الأشخاص والأشياء والأفكار.

وتتعلق فلسفة السياسة الخارجية تتعلق بالتفكير المجرد المرتبط بظاهرة السلوك الخارجي لوحدة دولية ما والنظام العام لمنظومة القيم الحاكمة لها وهي بالتالي نسبية ومتعمدة وتهتم بالمستقبل أكثر مما تهتم بالحاضر. وهي لا تعدو أن تكون مادة أولية لا تستفيد النظرية منها هي ذاتها بل من كشفها لأوجه القصور في عملية صنع السياسة الخارجية في الواقع الفعلي ، فالنظرية تتبع من الواقع ، وهي إذا تعرضت للمستقبل فإنها تتعرض له من باب التنبؤ به وليس للبحث عن سلوك خارجي أكثر مثالية فيه. هي بلغة أخرى ، مشاهدة للواقع واستخلاص للعلاقات الارتباطية المفسرة لكافة متغيرات السلوك الخارجي ، ودلالاتها المجردة عن الزمن والمكان.

ومفتاح بناء مفهوم السياسة الخارجية وتحليله هو وصف وتحليل الاستراتيجية التي يعمد صانعو القرار في وحدة دولية ما إلى انتهاجها تجاه أطراف النظام الدولي الأخرى ، لتحقيق أهداف محورها هو: المصلحة.

ونستخلص من المضامين الاصطلاحية سائلة الذكر لمفهوم (السياسة

الخارجية) ستة معطيات كاشفة لفضائه المعرفي :

أولها : السياسة الخارجية تتعلق بسياسة وحدة دولية واحدة أي بالبرامج التي تنتهجها تلك الوحدة تجاه الوحدات الدولية الأخرى. وهي بذلك تختلف عن العلاقات الدولية التي هي محصلة لتفاعل مجموعة السياسات الخارجية لمختلف الوحدات السياسية في زمن معين.

وثانيها : السياسة الخارجية عملية مخططة وليست عفوية تتجسد في استراتيجية يحولها صانعو القرار في وحدة دولية إلي برنامج حاكم لسلوكياتها في التعامل على الصعيد الدولي.

وثالثها : السياسة الخارجية وسيلة وليست غاية بحد ذاتها ، فهي وسيلة لتحقيق أهداف محورها هو المصلحة ، وما دامت الوحدات الدولية التي يمكن الحديث عن سياسة خارجية لها تتعدى الدول فإن تلك المصلحة لم تعد قاصرة على المصلحة القومية.

ورابعها : محورية دور صانعي القرار في كل وحدة دولية في صنع سياستها الخارجية يستلزم دراسة عملية صنع السياسة الخارجية على هدى من تحديد: المشاركين في تلك العملية ، وكيفية صنعها ، والمتغيرات المؤثرة فيها ، ونوعية السلوك الخارجي للوحدة الدولية ، والحد الفاصل بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية.

وخامسها : لما كانت عملية صنع السياسة الخارجية تستند إلي استراتيجية لخدمة مصلحة ما فإنها تتأثر بأمرين: الثوابت والمتغيرات ، الأولى تؤدي إلي التواصل والثانية تؤدي إلي التغيير في ضوء تغير العنصر البشري القائم على عملية صنعها والتغير في موازين القوة وفي طبيعة العلاقات بين أطرافها⁽¹²⁾.

¹²- السيد عمر، مقدمة في نظرية السياسة الخارجية، مرجع سابق ص 7 - 25 .

وترتبط السياسة الخارجية لأية دولة قومية باستراتيجية وبرامج سياسية يقف سقف طموحها عند حد القوة القومية الشاملة والقدرة القومية الشاملة النسبية بين أطرافها . وينصرف مفهوم الاستراتيجية إلى الخطة طويلة الأجل لكيفية توظيف كافة موارد الدولة المادية والمعنوية من أجل تحقيق الهدف العام للدولة، وهذا الهدف يتمثل في مجموعة من الأدوات في مجملها تحقق الوصول إلى الهدف العام، كما أن الوصول إلى هذه الأهداف يتطلب مرونة كبيرة في الآليات الموضوعية لتحقيقها بما يتناسب مع الوضع الداخلي للدولة والوضع الخارجي، والذي بدوره يتطلب توظيف الموارد التي تحقق هذا الهدف بصورة مباشرة أو غير مباشرة.⁽¹³⁾

أهداف الدراسة

في ضوء الانخراط الروسي النشط والفعال في كافة القضايا الدولية في قلب المعمورة ، وعبر العالم كله عهد بوتين ، فإن هدف الدراسة يركز أولاً على بناء مفهوم السياسة الخارجية الروسية وتأثيره من كافة أبعاده النظرية، ثم رصد وتحليل جدليتها مع الحالة المصرية في واقعها الراهن ، وانعكاسات مسارات السلوك السياسي الروسي الخارجي على السياسة المصرية في الداخل وعلى

¹³ - عز الدين عبدالله أبو سمهدانة، الاستراتيجية الروسية تجاه الشرق الأوسط، من 2000 - 2008م، دراسة حالة القضية الفلسطينية، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2012م، ص 39.

الصعيدين الإقليمي والعالمي واستشراف سيناريوهات العلاقات المصرية الروسية المصرية في المستقبل المنظور .

وتهدف هذه الدراسة من هذا المنظور إلى مقارنة مفهوم (السياسة الخارجية الروسية) في خمس مجالات، **أولها:** التعريف بعملية صنع السياسة الخارجية الروسية **من حيث بيان:** استراتيجيتها وكيفية صنعها ودوائر اهتمامها والأنماط الرئيسة لشبكة علاقاتها.

وثانيها: رصد أبعاد البرنامج الحاكم لسلوك الروسي في التعامل مع الفاعلين الدوليين والفاعلين الدوليين من غير الدول، من حيث غاياته وأساليب تطبيقه، وما يقابله من تحديات ومن فرص في ضوء معطيات البيئة الدولية بكل مستوياتها في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والاجتماعية.

وثالثها: التعريف بالبرامج التي يسعى صانع السياسة الخارجية الروسية إلى التأثير عبرها على توجهات مصر في الداخل والخارج ، بما يخدم المصلحة القومية الروسية.

ورابعها: جدلية المصلحة القومية المصرية مع نظيرتها الروسية وتأثيرها على أنماط التفاعل بين الجانبين في كافة المجالات، على مستوى السعي المتبادل للحفاظ على الثوابت وتكييف المتغيرات معها.

وخامسها: تحليل ثمرات السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر ما بعد مبارك واستشراف مستقبلها.

وخلاصة القول، أن هذه الدراسة تقوم على ركيزتين، أولهما: البناء النظري لمفهوم السياسة الخارجية الروسية. **وثانيهما:** تطبيق ذلك الإطار النظري على السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر في عهد ما بعد مبارك بدءً بعام 2011. وتتبع من هاتين الركيزتين الأهداف الفرعية الأربعة التالية:

1- التعرف على مرتكزات وأهداف وأدوات السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر ما بعد مبارك.

2- رسم خريطة ثوابت ومتغيرات السياسة الخارجية الروسية تجاه مصري عهد ما بعد مبارك.

3- تحليل أهم التطورات الإقليمية والدولية التي أثرت على مجرى العلاقات بين روسيا ومصر.

4- تحليل واقع محصلة السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر في عهد ما بعد مبارك واستشراف مستقبلها.

المبحث الأول: بناء مفهوم السياسة الخارجية الروسية: يقوم معمار هذا المبحث على ركيزتين أساسيتين: التعريف بمفهوم السياسة الخارجية بوجه عام كتمهيد لازم لبناء مفهوم السياسة الخارجية الروسية، وذلك على التفصيل التالي:

أولاً: في التعريف بمفهوم السياسة الخارجية: لباب مفهوم السياسة الخارجية لأية دولة قومية هو كونها برنامج تضعه وحدة دولية معينة للتفاعل الاستراتيجي

مع كافة الفاعلين الدوليين الآخرين في كل المجالات على نحو يعزز مصلحتها القومية المتصورة مع المحافظة على الثوابت والتكيف مع المستجدات. وينبثق ذلك البرنامج من استراتيجية تتبعها وحدة دولية معينة لضبط سلوكها الخارجي مع السعي إلى توجيه سلوك الفاعلين الدوليين الآخرين على نحو موافق لمصلحتها القومية المتصورة. ويضعنا تحليل هذا التعريف أمام مجموعة من المعطيات الكاشفة لدلالة المفهوم محل البحث:

أولها أن السياسة الخارجية تتعلق بسياسة وحدة دولية واحدة هي روسيا الاتحادية في هذه الدراسة ، أي بالبرامج التي تنتهجها تلك الوحدة تجاه الوحدات الدولية الأخرى عامة وتجاه مصر ما بعد مبارك بوجه خاص . وهي بذلك تختلف عن العلاقات الدولية التي هي محصلة لتفاعل مجموعة السياسات الخارجية لمختلف الوحدات السياسية في زمن معين.

وثانيها أن السياسة الخارجية عملية مخططة وليست عفوية تتجسد في استراتيجية يحولها صانعو القرار في وحدة دولية إلى برنامج حاكم لسلوكياتها في التعامل على الصعيد الدولي.

وثالثها أن مفهوم السياسة الخارجية اتسع ليشمل سلوكيات وحدات دولية غير الدول. فمن الممكن الحديث الآن عن السياسة الخارجية لدولة أو منظمة دولية أو حركة تحرير سواء في نسق واحد أو نسق مختلف.

ورابعها أن السياسة الخارجية وسيلة وليست غاية بحد ذاتها، فهي وسيلة لتحقيق أهداف محورها هو المصلحة، وما دامت الوحدات الدولية التي يمكن الحديث عن

سياسة خارجية لها تتعدى الدول فإن تلك المصلحة لم تعد قاصرة على المصلحة القومية.

وخامسها : أن محورية دور صانعي القرار في كل وحدة دولية في صنع سياستها الخارجية تستلزم دراسة عملية صنع السياسة الخارجية على هدى من تحديد: المشاركين في تلك العملية ، وكيفية صنعها ، والمتغيرات المؤثرة فيها ، ونوعية السلوك الخارجي للوحدة الدولية ، والحد الفاصل بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية.

وسادسها: أنه لما كانت عملية صنع السياسة الخارجية تستند إلى استراتيجية لخدمة مصلحة ما فإنها تتأثر بأمرين: الثابت والمتغيرات ، الأولى تؤدي إلى التواصل والثانية تؤدي إلى التغيير في ضوء تغير العنصر البشري القائم على عملية صنعها والتغير في موازين القوة الشاملة بين أطرافها وفي طبيعة العلاقات بين أطرافها. فالسياسة تعني كمصطلح : قيم ومعايير سلوكية في حالة تفاعل نشط يوظفها طرف فاعل في تحريك طرف مفعول به بغية تعظيم التوافق الذي يتطلع إليه الطرف الأول ، ويتم هذا التفاعل في داخل نسق اجتماعي واحد محدد أو بين أنساق اجتماعية متماثلة أو غير متماثلة في حيز زمني ومكاني محدد. والمراد بالتوافق هنا هو العملية الدينامية للتفاعل بين السلوك والبيئة على النحو الذي يحقق التوازن بينها حول حل وسط.

ويرتبط مفهوم " السياسة " بمفهوم " الدور " الذي هو بدوره مفهوم علاقي هادف متعمد ذو طابع حركي وتراكمي بمعنى أنه جهد مقصود يتمركز حول أداء وظيفة أو

مهمة ، أي أنه يرتبط بمكانة طرف فاعل يقوم بمهمة ويشغل مكانة معينة في ظرف بيئي محدد ويتحرك بمبادرة ذاتية أو كرد فعل أو بتكليف من الآخرين ، ويرتبط بالسلوك ويحتاج إلي حيز زمني ويجمع بين التأثير المتبادل بين أطرافه وبين الطابع الذاتي والموضوعي طالما كان القائم به والمستقبل له بشراً محكومين بمعطيات البيئة الداخلية والخارجية. وهو يحتاج بالتالي إلي توفر إمكانية لتحويل القوة الكامنة إلي سلوك فعلي بضوابط ، وعملية تنشيط مستمرة للتفاعل بين الأشخاص والأشياء والأفكار.

وسابعتها : زوال إمكانية تبني أية وحدة دولية عامة والقوى الدولية العظمى من أمثال روسيا الاتحادية ، والقوى الإقليمية المحورية من أمثال مصر سياسة خارجية انعزالية ، مع إسقاط التكنولوجيا الحديثة لإمكانية العزلة وتحتيمها للاعتماد المتبادل بات من الصعب تصور انتهاج دولة ما لمثل هذه السياسة إلا في أدنى حدودها الممكنة وبأسلوب انتقائي. وبات النمط لكثير انسجاماً مع معطيات نظام ما بعد الحرب الباردة وزوال الثنائية القطبية الأمريكية السوفيتية ، هو الانخراط في مختلف ملفات القضايا الدولية الإقليمية والكوكبية في سياق علاقات ثنائية وتحالفات مؤقتة وتنسيق عبر منظومة الأمم المتحدة . وتحرص كافة الدول على تصوير سلوكها الخارجي على أنه سلوك سلمي ، مع سعي كل منها إلى تعظيم دورها الإقليمي وبصمتها القومية وتحاشي النبذ في محيطها الإقليمي وخارجه .

وثامنها : أن أهداف السياسة الخارجية تنصب على خدمة المصلحة القومية ممثلة في الحفاظ على بقاء الدولة وحفظ نظامها السياسي ونظام الحكم الذي

تتبعه ، وتحقيق توازن القوة بما يعزز استقلال الإرادة القومية ، وتعميق الاستقرار الداخلي في كافة المجالات ، وإدارة العلاقات الدولية ، وإدارة الصراعات والأزمات الدولية . ولا تتوقف علاقة التأثير السياسي الخارجي على القوة القومية الشاملة الفعلية والكامنة بقدر اعتمادها على القدرة القومية الشاملة للدولة ، بمعنى القدر من تلك القوة الذي توفر الإرادة السياسية لتوظيفه في ظرف معين لتحقيق أهداف معينة وفرض إرادتها علي الوحدات الدولية الأخرى ، فالعبرة ليست بالقوة القومية الفعلية أو الكامنة بل بأثر تلك القوة ، أي بتحويلها إلي قدرة وتحويلها بالتالي إلي تأثير نسبي يتجسد في فرض الدولة لإرادتها في ضبط السلوك الخارجي للوحدات الدولية الأخرى علي نحو يخدم مصلحتها القومية إلي أبعد حد ممكن .

ويتضح من المعالجة السابقة أن العبرة هي بقوة الدولة في منظور الدولة الأخرى . وأن القصور في عناصر قوة دولة ما لا يضرها فيما لو كانت لدى الدولة المقابلة رؤية مبالغ فيها لموارد الأولى أو إذا افتقرت الدولة الثانية إلي إرادة تعبئة مواردها لخدمة أهدافها . فالقوة تعتمد علي التصور والإرادة . ويتوقف تغيير السلوك من عدمه علي رؤية كل من طرفي العلاقة للقوة النسبية لمواردهما وليس علي العلاقة الفعلية للموارد المتاحة لكل منهما ، بل علي إرادة كل طرف استخدام موارده ، وتصور كل طرف لإرادة الآخر وتعبئة موارده . فالعلاقة بين الدول علاقة تساومية في المقام الأول حيث أن كل القضايا تحتوي علي عناصر صراعية وعناصر تتعلق بالصالح المشترك ، مع غلبة العناصر الصراعية في معظم الحالات في الواقع الفعلي أو في تصور أطراف العلاقة الدولية . وترى الدول بالتالي أن استخدام القوة أو بالأحرى توظيفها وتعبئتها أمر ضروري لحمل الطرف أو الأطراف الأخرى علي فعل شيء

(أو علي الكف عن فعل شيء) كان سيختار (أو لا يختار) أن يفعله لولا ذلك. وقد تتمثل الوسائل المستخدمة في الدبلوماسية: (التي قد تعزز بعرض مكافآت أو تقديم مكافآت أو بالتخلي عن العقوبات أو بالتهديد بالعقوبات ، وتمهيد الساحة لها بالدعاية أو بإجراءات اقتصادية أو بالتخريب أو باللجوء إلي القوة المسلحة) أو اللجوء إلي هذه الوسائل التعزيرية مستقلة عن أي سعي دبلوماسي محدد.

وتتعدد وسائل تحقيق أهداف السياسة الخارجية ، وتأتي في الصدارة منها : الدبلوماسية بكافة أنماطها . وتشمل الوسائل الدبلوماسية لإدارة العلاقات الدولية : المفاوضات الدولية ، والوساطة والمساعي الحميدة ، والتوفيق ، والتحكيم الدولي ، والتسوية القضائية . ويندرج في الوسائل المعاونة لوسائل التسوية الدبلوماسية سلفة الذكر : المعونات والعقوبات والوعود والتحذيرات والتهديدات والحرب النفسية والدعاية والإعلام ، والتأثير غير المباشر عبر الفاعلين الدوليين من غير الدول ، وتوظيف كل من القوة اللينة والقوة الخشنة والقوة الذكية في تحقيق أهداف السياسة الخارجية¹⁴.

و تتحكم في السياسة الخارجية لأية وحدة دولية مجموعة من المحددات تنصدها الثوابت الجغرافية والطبيعية والصورة الإدراكية للنخبة الحاكمة للبيئة الداخلية والخارجية بكافة معطياتها السياسية والاقتصادية والعقيدية والثقافية والإعلامية والاجتماعية والمعنوية . وأصبح من الصعب في ظل ثورة الاتصال

14 - انظر في تفصيل ذلك : السيد عمر ، مقدمة في نظرية السياسة الخارجية ، القاهرة : دار المهندس للطباعة ، 2004 ، ص5-12 ، ص 210-280.

واقتصاد المعرفة التمييز بين ما هو داخلي وما هو خارجي ، وغدت تلك المحددات على درجة بالغة التعقيد والتشابك داخل الدول وفيما بينها وبين الدول الأخرى والفاعلين من غير الدول . .

وتترجم السياسة الخارجية للدولة في شكل قرارات سياسية خارجية تتأثر بدورها بعوامل خارجية في مقدمتها: حقائق الوضع الدولي، وطبيعة النظام الدولي القائم، وبمعايير داخلية منها: طبيعة النظام السياسي في الدولة، ودور القيادة السياسية فيها والمعتقدات والقيم السائدة في المجتمع، والوضع العسكري والاقتصادي الداخلي. فالسياسة الخارجية للدولة هي استراتيجية تتبناها الدولة وتتضمن أهدافاً ومصالح وطنية وقومية، وهذه الأهداف والمصالح تترجم إلى قرار خارجي يتأثر بعوامل داخلية وخارجية.⁽¹⁵⁾ وفي حين لا يزال البعض يركز على أولوية الجغرافيا والتهديدات الخارجية في تشكيل السياسة الخارجية، فإن البعض الآخر يرى أن التفاعلات الداخلية هي الأهم في ضوء خبرة الكيفية التي غربت بها شمس الثنائية الأمريكية السوفيتية التي قامت بعد الحرب العالمية الثانية حتى تفكك الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين.

ويمكن القول بوجه عام أن العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية تنتظم في مجموعتين أساسيتين أولهما : عوامل أساسية وتشمل: الجغرافية، والحدود،

15- كينث تومسون وروى مكريديس، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، ضمن: مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة حسن صعب، (دار الكتاب العربي، بيروت، 1966)،

والموقع، والمساحة، والمواد الأولية، والتقدم الصناعي والتكنولوجي⁽¹⁶⁾ ، وثانيهما : عوامل مساعدة تشمل: القيادة والصورة الإدراكية للواقع ، والنظام السياسي ، ونظام الحكم، والوضعية الراهنة لميزان القوة القومية الشاملة على هرم القوى القومية الشاملة النسبية، وشبكة المصالح بين مختلف القوى السياسية على الصعيد الداخلي والإقليمي والعالمي⁽¹⁷⁾ والسياسة الخارجية لدولة من الدول هي ترجمة لأهدافها الوطنية. الدول كبرت أو صغرت لا تملك قدرة مطلقة على رسم سياستها الخارجية؛ لأن القوة النسبية بينها وبين الأطراف المنخرطة معها في كل قضية دولية قيد ضروري يرد على تلك القوة . وبما أن روسيا الاتحادية دولة قارية كبرى فإن لديها مصالح وأهداف إقليمية ودولية كبيرة ومتسعة من حيث مجالاتها ونطاقها الجغرافي تسعى إلى تحقيقها باستخدام جميع الوسائل الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية، في المدى البعيد والمتوسط والبعيد⁽¹⁸⁾ .

¹⁶ – James D. Fearon, Foreign and Theories Of International Relations (University of Chicago P.296., ، Chicago، Illinois، Annu. Rev. Polit. Sci. 1998)، .

¹⁷ – Encyclopædia Foreign policy، The Editors of Encyclopædia Britannica – Britannica accessible at: <https://www.britannica.com/topic/foreign-policy>

¹⁸ – إسماعيل إسماعيل موسى المتولي تركي، السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا وأثرها على العلاقات الروسية الأوروبية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2019، ص 36. وحبوب تفصيلات ما طرأ على مفهوم الأمن القومي من تطور واتجاهات رصده وتحليله راجع أيضا الفصل الخامس من : السيد عمر ، مفاتيح النظرية السياسية ، القاهرة : جهاز نر الكتاب الجامعي بجامعة حلوان ، 2018 .

هذا عن تعريف مفهوم السياسة الخارجية بوجه عام . فماذا عن تعريف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية على وجه الخصوص ، الدائرة حول حفظ المصلحة القومية الروسية حفظ بقاء ونماء وارتقاء ، بمداراتها الثلاثة ، ونواتها : هي الحفاظ على بقاء الدولة . و مركزها هو : الحفاظ على النظام السياسي . وأطرافها هي الحفاظ على نظام الحكم . والمطلوب هو تعريف هذه المقومات الثلاثة التي يعتبر حفظها حفظ بقاء وحفظ نماء وحفظ ارتقاء هو مضمون (الرؤية الكلية والإطار المرجعي الحاكمين للسياسة الخارجية الروسية، وبيئتها الجيوسياسية والجيواستراتيجية ، بوصفها دولة عظمى على مستوى كل من : البيئة الداخلية ، والإقليمية ، والدولية، وسيرة تلك السياسة وصيرورتها ، وثوابتها ومتغيراتها في عصر ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق؟ .

ثانيا : بناء مفهوم السياسة الخارجية الروسية : ورثت روسيا الاتحادية الشق الأعظم من القوة الشاملة للاتحاد السوفيتي السابق، كما ورثت جل طموحاته وقدراته الإقليمية والعالمية ، مما جعل التردّي في نفوذها الدولي مؤقتا ، ولا يعدو كونه نوعا من المواءمة مع معطيات أوضاع ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق وانهيار المنظومة الاشتراكية في أوربا الشرقية . ولكون تلك التحولات على أهميتها الكبرى قد حدثت بفعل معطيات الداخل السوفيتي ، وليس نتيجة هزيمة عسكرية في مواجهة الكتلة الليبرالية الغربية ، و تعثر مسعى الولايات المتحدة لإقامة نظام أحادي القطب ، صبا معا على نحو بالغ السرعة في تعافي روسيا الاتحادية وتبوؤها مكانة دولة عظمى لها شبكة مصالح إقليمية وعالمية واسعة تسعى عبر سياستها الخارجية إلى إثرائها بمختلف الوسائل السياسية والاقتصادية و الثقافية والإعلامية والعسكرية، و انعكس ذلك بصورة مباشرة وغير مباشرة

على مسار علاقاتها على الصعيدين الإقليمي والعالمي ، واتسعت مجالات النفوذ الروسي في شتى الملفات الإقليمية والدولية الحيوية، من شمال البلطيق إلى سوريا وليبيا والشرق الأوسط بوجه عام وفي آسيا الوسطى بوجه خاص .واتسمت الدبلوماسية الروسية بالتحدي في المحافل الدولية وبتحقيق اختراقات مهمة في كثير من الملفات الإقليمية الحيوية، وفي التدخل غير المباشر حتى في الشؤون الأمريكية الداخلية .

ومن المهم في بناء مفهوم السياسة الخارجية الروسية التنبه إلى أن ثوابت البيئة الروسية ، و الإرث التاريخي للعلاقة بينها وبين الغرب الليبرالي الرأسمالي تجعل أي تقارب بين الجانبين سواء في العلاقة المباشرة بينهما أو في موقف كل منهما من قضايا الواقع العالمي المعاصر مجرد تقارب مؤقت ومحكوم بضرورات ملحة ملجئة ، ومصحوبا بسعي حيوسياسي وجيواستراتيجي حثيث من جانب الطرف الذي تهدد نفوذه لاستعادة ذلك النفوذ . ومن الطبيعي في ضوء ذلك أن تكون نواة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية هي : الحيلولة دون قيام نظام عالمي أحادي القطب، وإعادة ترتيب الأوضاع الداخلية والإقليمية في الفناء الخلفي للاتحاد السوفيتي السابق بما يكفل حفظ المصلحة القومية الروسية على صعيد بقاء روسيا الاتحادية حفظ بقاء وحفظ نماء وحفظ ارتقاء ، بمعالجة أوجه الضعف الموروثة عن الحقبة الاشتراكية ، وضمان بقاء الغلبة للنفوذ الروسي في محيط روسيا الاتحادية الإقليمي ، وإعادة بناء قواعد النظام الدولي باتجاه نظام متعدد الأقطاب . و من هنا كان التقارب السوفيتي الأمريكي في عهد ما قبل بوتين بمثابة سحابة صيف عابرة ، ولم يكن للتحول الروسي إلى نظام السوق

الحر إلا أثرا سطحيا على خريطة السياسة الخارجية الروسية سواء من حيث محدداتها أو توجهاتها ، أو أولوياتها ، التي ظل رائدها هو السعي إلى استعادة الندية في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية . ومن البدهي أن لاستعادة النفوذ الروسي في الشرق الأوسط أهمية بالغة بالنسبة للمسعى الروسي لاستعادة التوازن الاستراتيجي في مواجهة القوى الغربية ، وكان لمصر موقع الصدارة بالتالي في السياسة الخارجية الروسية في عصر ما بعد ثورات الربيع العربي لما لمصر من أهمية محورية في العالم العربي .

و تحدد مضمون هذا المفهوم في وثيقة رسمية تحمل هذا العنوان صدق عليها رئيس الاتحاد الروسي فلاديمير بوتين في 30 نوفمبر 2016، بمنظومة من المبادئ والأولويات والأهداف والغايات الأساسية للسياسة الخارجية للاتحاد الروسي منبثقة من كل من : الدستور والقوانين الاتحادية، ومبادئ وقواعد القانون الدولي المعترف بها بصورة عامة والمعاهدات الدولية للاتحاد الروسي والأطر القانونية للاتحاد الروسي التي تنظم أنشطة الهيئات الاتحادية لسلطة الدولة في مجال السياسة الخارجية، ووثائق أخرى مماثلة. (19).

¹⁹ - مفهوم السياسة الخارجية للاتحاد الروسي (وافق عليه رئيس الاتحاد الروسي فلاديمير بوتين في 30 نوفمبر 2016 علي موقع وزارة الخارجية الروسية:

Concept of ،The Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation – available ،the Foreign Policy of the Russian Federation
at:http://www.mid.ru/en/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/122186

وجاءت هذه الوثيقة تتويجا للتحديد الإجرائي لهذا المفهوم في المرسوم الرئاسي الصادر في 7 مايو 2012 الخاص بالتدابير المتعلقة بتنفيذ السياسة الخارجية في الاتحاد الروسي، الموسوم بعنوان "التدابير المتعلقة بتنفيذ السياسة الخارجية للاتحاد الروسي" (2012)، المحدد للخطوط الإرشادية العريضة لاستراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي حتى عام 2020، والعقيدة العسكرية للاتحاد الروسي.⁽²⁰⁾

وتضمنت وثيقة (التعريف بمفهوم السياسة الخارجية الروسية 104 بندا ، بؤرتها الرئيسية هي: تقديم وصف نظامي لكل من: المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الروسية ، و أولويات السياسة الخارجية الروسية . أهداف وغايات السياسة الخارجية الروسية .

²⁰ - The Military Doctrine of the Russian Federation

available at: ،

<http://www.scrf.gov.ru/documents/99.html> مرسوم رئيس الاتحاد الروسي المؤرخ 7

مايو 2012 رقم 605 "بشأن تدابير تنفيذ مسار السياسة الخارجية للاتحاد الروسي

Российской Федерации Министерство иностранных дел России

accessible at: http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents/-

[/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/157626](http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/157626)

²⁰ - Concept ،The Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation

available at: .of the Foreign Policy of the Russian Federation

http://www.mid.ru/en/foreign_policy/official_documents/-

[/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/122186](http://www.mid.ru/en/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/122186)

وانطلاقاً من مثلث المبادئ والأوليات والغايات رسمت الوثيقة في عناوينها الفرعية مجالات السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية على نحو يكشف أن ثوابتها تمثل امتداداً وثيقاً للتاريخ الروسي سواء في عهده الإمبراطوري ، أو عهده الاشتراكي أو عهده ما بعد الاشتراكي . فقد سلطت تلك الوثيقة الواقعة في قرابة أربعين صفحة الضوء على كل من : السياسة الخارجية الروسية في العالم الحديث ، و أولويات السياسة الخارجية الروسية في معالجة المشكلات الكوكبية، ونشوء النظام العالمي الجديد وقضايا الكوكبية، وحكم القانون في النظام العالمي الجديد وتعزيز الأمن الدولي ، والتعاون الدولي في مجالي الإقتصاد والبيئة، والتعاون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان، والدعم المعلوماتي لأنشطة السياسة الخارجية، وتنمية وتطبيق أنشطة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية.

وبتحليل وثيقة مفهوم السياسة الخارجية الروسية السالف الإشارة إليها يبين أن الفضاء المعرفي لهذا المفهوم يدور في المخيال الروسي حول منظومة ما المضامين، أولها إن مفهوم السياسة الخارجية للاتحاد الروسي هو وصف شامل للمبادئ والأولويات والأهداف الأساسية للسياسة الخارجية للاتحاد الروسي. وثانيها تضمين أنشطة السياسة الخارجية للاتحاد الروسي هو تزويد الجمهور الواسع بمعلومات كاملة ودقيقة حول موقفه من القضايا الدولية الرئيسية، ومبادرات السياسة الخارجية، وعمليات وخطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية المحلية. وثالثها: التركيز الروسي على تطوير وسائل روسية خاصة نابعة من القيم الروسية للتأثير على الرأي العام في الخارج، وتعزيز دور وسائل الإعلام الروسية

في بيئة المعلومات الدولية التي تزودها بالدعم الأساسي للدولة، واتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة المعلومات التي تهدد سيادتها وأمنها.

و رابعها : التركيز على دعوى سعي السياسة الخارجية الروسية إلى قيام نظام مستقر للعلاقات الدولية يقوم على أساس القانون الدولي ومبادئ المساواة والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ، و تهيئة ظروف مواتية لتحقيق الخيار التاريخي لشعب الاتحاد الروسي لصالح حكم القانون، والمجتمع الديمقراطي واقتصاد السوق⁽²¹⁾ .

و خامسها : التأكيد على علمية السياسة الخارجية الروسية وموضوعيتها في صنعها وفي تطبيقها بالجمع بين ثوابت الهوية الروسية والمتغيرات المعاصرة بما يجعل لتلك السياسة خصوصيتها ويضبط حدود تغييرها تتغير عبر الزمان بمنطق علمي . فهي لا تتحدد ولا تتغير بفعل الصدفة، وإنما استنادا إلى التفاعل بين ثوابتها ومتغيراتها في ضوء خبرة الماضي والحاضر واستشراف المستقبل.

و سادسها : مراعاة أهمية الصورة الإدراكية للقيادة الروسية للنظام العالمي . فالسياسة الخارجية الروسية ترجمة لرؤية القوى السياسية الروسية لخصائص الواقع الروسي القومية ومشكلاته الاجتماعية والتوجهات المجتمعية وطبيعة النظام السياسي . وكل تلك المحددات لا يمكن تعيينها ورصد أثرها المتوقع في السياسة الخارجية إلا من خلال فهم صانع السياسة لتلك المتغيرات وإدراكه الموضوعي لها، حيث إن السياسة الخارجية ليست مجرد محصلة للتأثير الآلي للعوامل الموضوعية.

²¹ - Concept ،The Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation

available at: .of the Foreign Policy of the Russian Federation

http://www.mid.ru/en/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/122186

فهي في التحليل النهائي تصنع بوحدة قرار مؤسسية بواسطة أفراد يتأثرون بدوافعهم الذاتية وخصائص شخصيتهم وبتصوراتهم الذهنية . ويلعب القائد دوراً أساسياً ومهماً في صنع السياسة الخارجية على مستوى كل من : التخطيط والتطوير والتكيف. ومن أهم الصفات الواجب توفرها في القائد الناجح في مجال سياسته الخارجية: الإحاطة بالتعقيدات السياسية الدولية والمتغيرات الدولية، بصفة ذلك بعد موازن للسمات الشخصية والذاتية للقائد والتجارب والقدرات الخاصة، والثقافة والمعارف النظرية.(22)

وهنا يمكن التمييز بين العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة في السياسة الخارجية لروسيا، فعلى النطاق الداخلي، تتأثر السياسة الخارجية بالتغير الحادث في القيادة السياسية، وتغير النخبة الحاكمة بشكل عام، فضلاً عن تغير التوجه العقيدي السياسي للدولة في انتقالها من النموذج الاشتراكي الشمولي إلى البديل الديمقراطي . أما على الصعيد الخارجي، فتتأثر السياسة الخارجية الروسية بما طرأ من تغيرات في الصعيدين الإقليمي والعالمي في ظل موجة العولمة الراهنة ، وموجة الديمقراطية الثالثة بعد زوال الثنائية القطبية الأمريكية الروسية في الفترة الزمنية التي تناولها هذه الدراسة.

وسابعا : الزخم الذي تستمده السياسة الخارجية الروسية من وجود قيادة سياسية كاريزمية استثنائية متمثلة في شخص الرئيس بوتين والتغير الذي طرأ في عهده في النخبة السياسية والمتمثلة في جماعة السلوفيك والسيلافيك، والتحول الذي تشهده روسيا في سيرها نحو الديمقراطية والنمو الاقتصادي، وفي إدارة

22- محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998)، ص 139.

مختلف التحديات المعاصرة في البيئة الإقليمية والدولية، وفي الصدارة منها المعنى المستمر لحلف شمال الأطلسي (الناتو) للتوسع شرقاً، وقضايا الشرق الأوسط المزمنا وكذا قضايا الخليج العربي وثورات الربيع العربي.⁽²³⁾ وتكشف وثائق السياسة الخارجية الروسية أن هناك استمرارية واضحة للخطوط الأساسية للسياسة الخارجية الروسية، بالنسبة لكل من : التعريف الواضح لمصالحها الوطنية، و توفر إرادة الدفاع عن المصالح القومية في كل المجالات ، والمحافظة على مواقع النفوذ الروسي وتعميقها وتوسيع نطاقها ، بما يحقق هدفها الاستراتيجي المتمثل في الاعتراف بدورها في إدارة الشؤون الدولية واعتبارها قطبا دوليا في إدارة وضبط ملفات كافة قضايا السلم والأمن الدوليين.⁽²⁴⁾

ويتجلى غلبة الثبات على التغيير في توجهات السياسة الخارجية الروسية دراسة مقارنة "لأندرية تسيغانكوف" حول تلك التوجهات في عهد كل من جورباتشوف، يلتسين، مدفيديف، وبوتين، وتوجهاتها التقليدية في عهد ما قبل تفكك الاتحاد السوفيتي . واستناداً إلى المصادر الروسية والغربية، يرصد "تسيغانكوف" أثر التحول في شخص الزعيم على السياسة الخارجية الروسية برسم معالم ذلك التأثير نتيجة اختلاف رؤى القادة اروس المتعاقبين للمصالح

²³ - إسماعيل تركي، السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا وأثرها على العلاقات الروسية الأوروبية، مرجع سبق ذكره، ص 39.

²⁴ - F Francisco J. Ruiz González , Foreign Policy Concept of the Russian Federation: A Comparative : Study , April 2013 (The Spanish Institute For Strategic Studies, [Http://Www.lee.es/En/Galerias/Fichero/Docs_Marco/2013/Dieem06-2013_Rusia_Conceptopoliticaexterior_Fruizglez_English.Pdf](http://Www.lee.es/En/Galerias/Fichero/Docs_Marco/2013/Dieem06-2013_Rusia_Conceptopoliticaexterior_Fruizglez_English.Pdf)

الوطنية الروسية، وتكتيكات تعامل كل منهم مع ما واجهته السياسة الخارجية الروسية من فرص ومخاطر في ست عقود تمتد من عهد: "غورباتشوف" في أواخر الثمانينيات، وتمر بعهد التوجه الغربي الليبرالي في ظل "كوزيريف" في أوائل التسعينيات، ثم السياسة المتشددة نسبيًا مع بريماكوف، ثم إلى سياسة أكثر عملية واستعدادًا للتعاون المحدود مع "بوتين" ثم "مدفيديف"، وانتهاءً بالسياسة الحازمة التي اتبعتها بوتين منذ توليه رئاسة روسيا الاتحادية، والسعي الدائم لروسيا لاستعادة مكانتها الدولية في إطار نظام دولي متعدد الأقطاب (25).

وتعمق استراتيجية السياسة الخارجية الروسية هذه السمات السبع لهذا المفهوم وهذا هو موضوع المبحث التالي.

المبحث الثاني: الملامح العامة لاستراتيجية السياسة الخارجية الروسية:

طرأت على السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية مجموعة من التحولات الكبرى في معطيات البيئة الداخلية والخارجية الإقليمية والعالمية في العقود الثلاثة الأخيرة للتكيف معها هوية قومية لها تأثيرها على حاضرها ومستقبلها. وسنرسم هنا

Russia's Foreign Policy: Change and Continuity in National Identity, ⁻²⁵

Andrei P. Tsygankov <https://www.amazon.com/Russias->، 2015، at:

[Foreign-Policy-Continuity](#)

[National/dp/1442254025/ref=pd_sim_14_4?_encoding=UTF8&pd_rd_i=1442254025&pd_rd_r=YSN6HFHBRRHW52CW8WVT&pd_rd_w=L4uvY&pd_rd_wg=LgPaG&psc=1&refRID=YSN6HFHBRRHW52CW8WVT#reader_1442254025](#)

خريطة الملامح الرئيسة للسياسة الخارجية الروسية كما تبينها تلك التحولات وتلك الهوية .

و تمثل الشغل الشاغل لصانعي السياسة الخارجية الروسية هو بلورة استراتيجية للسلوك الروسي الخارجي يعيد لروسيا مكانتها الدولية المتكافئة مع قوتها الشاملة السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والاجتماعية ويعالج ما انتابها من قصور في المراحل الأخيرة من عهد الحرب الباردة، ويوفق بين مقتضيات عظمة روسيا كقوة كبرى وبين الالتزامات الضخمة لتلك المكانة المرجو استعادتها في مواجهة الولايات المتحدة من جهة وفي مواجهة القوى الصاعدة وفي مقدمتها الصين والاتحاد الأوروبي من جهة أخرى⁽²⁶⁾ .

وتكشف هذه الوثائق التأسيسية عن حقيقة ارتكاز السياسة الخارجية الروسية على مقومات القوة الروسية الداخلية ، مع التركيز بوضوح على الروح القومية وعلى استعادة بناء حلم روسيا كقوة عالمية عظمى .

ومن بين الشواهد على ذلك تحديد الرئيس الروسي السابق ديمتري مدفيدف في خطاب له أمام الجمعية الاتحادية للاتحاد الروسي بتاريخ 5 نوفمبر 2008 "القيم والمثل الاجتماعية والمبادئ الأخلاقية" الناظمة لسياسة روسيا الاتحادية الداخلية والخارجية ، بربط الحاضر الروسي بالماضي و ربطهما معا بالمستقبل باستحضار عبرة وقيم تاريخ البلاد على مر القرون كأساس لايمكن رسم صورة

²⁶- التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية"، السياسة الدولية، العدد 170، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، أكتوبر 2007، ص 42.

لروسيا إلا من خلا معطياته وقيمه التي يتصدرها وفق تعبيره : الإنصاف والحرية الشخصية، والوطنية، و حرية النشاط والتعبير والدين والسلام بين الأعراق والحفاظ على تقاليد الأسرة، والحب والولاء ورعاية الأصغر والأكبر سناً، و الروح الوطنية والإيمان بوحدة الأمة الروسية ، وبناء الوعي بأن تلك القيم هي الأساس الأخلاقي للمجتمع الروسي ، الذي يجعل منه شعباً روسياً واحداً متماسك اللحمة القومية (27).

ومع التسليم أن التوجهات السياسية والهوية الوطنية لا يمكن بناؤها من أعلى إلى أسفل بناء على أوامر سلطوية بل عبر عملية معقدة تستدعي مجمل معطيات البيئة الداخلية الروسية والبيئتين الإقليمية والعالمية ؛ عمل القادة الروس الجدد (بوتين - مدفيدف) على صياغة استراتيجية لتحديد التوجهات السياسية وتعزيز الهوية الوطنية الروسية(28) ، وأكد على ضرورة تحقيق توافق مجتمعي حول الخطوط العامة الأساسية للسياسة الروسية الداخلية والخارجية بحيث تعبر

مفهوم التعليم الروحي والأخلاقي للطلاب الروس : 27-

Концепция духовно -

нравственно воспитания российских школьников on site

<http://www.rkomitet.ru/school/program/action2009/razdel/cdn>

28 -Anastasia Likhacheva ,and others ,National Identity and the Future of Russia ,Valdai Discussion Club Report ,Moscow ,February 2014 ,pp 45-46.

الأهداف والقيم والتوجهات التنموية، عن القيم الروسية التقليدية وهي: الوطنية، وعظمة روسيا، والتضامن الاجتماعي، والدولانية.⁽²⁹⁾

وقد أكد الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين في خطاب له بتاريخ 12 ديسمبر 2013، بأن جوهر التوافق الاجتماعي لا بد أن يركز على وحدة نسيج التركيبة السكانية للأمة الروسية، والشعور بالفخر بالتنوع الذي تزخر به روسيا وبتاريخها ومكانتها في العالم، مع التناغم بين كافة عرقياته ضمن مجتمع سياسي واحد يظلها جميعا، ودعم هذه الوحدة القومية بسلطة سياسية قوية قادرة على المحافظة على النظام الداخلي، ودولة عادلة اجتماعياً.⁽³⁰⁾

وانطلاقاً من هذا التصور كانت المهمة الرئيسة للرئيس بوتين هي استعادة مكانة روسيا كدولة عظمى، من خلال الثبات على مواقف مستقلة، مؤسسة على خبرة الماضي السوفياتي، باعتباره جزءاً من الذاكرة الروسية الوطنية وعاملابالغ الأثر في تركيبة المجتمع الروسي الحديث، وفي قدرته علي الصمود والمواجهة والارتقاء.⁽³¹⁾

²⁹ - إسماعيل تركي، السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا وأثرها على العلاقات الروسية الأوروبية، مرجع سبق ذكره، ص 55.

³⁰ - خطاب الرئيس الروسي بوتين أمام الجمعية الفيدرالية بتاريخ 12 ديسمبر 2013.

2013، Послание Президента Федеральному Собранию December 12
available at: <http://kremlin.ru/events/president/news/19825>

³¹ - وسيم خليل قلعبية، روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، (بيروت الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016)، ص 193.

الملاح العامة للسياسة الخارجية الروسية

وعمل الرئيس بوتين على مدى العقدين الأخيرين على تعميق التوجه الأوراسي في سياسة روسيا الخارجية ورسخ منظومة قواعد عرفت باسم "مبدأ بوتين" بورتها هي : الإصلاح الداخلي، و تطوير دور روسيا في عالم متعدد الأقطاب والحيلولة دون هيمنة قوة عظمى واحدة بالعمل المخطط على استعادة الدور الروسي في آسيا والشرق الأوسط تدريجيا وعدم السماح للغرب بتهميشه في كافة ملفات العلاقات الدولية الراهنة

ومنذ أحداث 11سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة وإعلان الأخيرة ما تسميه الاستراتيجية العالمية الأمريكية للحرب على الإرهاب، سعى بوتين في البداية إلى استثمار هذا التحول عبر تقديم روسيا على أنها شريك في محاربة الإرهاب خاصة في مواجهة الحركة الانفصالية الشيشانية و نظام طالبان في أفغانستان والحصول على دعم اقتصادي أمريكي، ثم تحول لاحقا إلى تبني سياسة خارجية أكثر استقلالية وممانعة في مواجهة الإجراءات الأمريكية الأحادية ، و عدم اكتراثها بالمعارضة الروسية لغزو العراق عام 2003 أو التشاور مع روسيا حول مستقبل إقليم كوسوفو.

وساهمت معطيات جديدة في تمكين بوتين من تبني تلك الاستراتيجية . فلقد أدى ارتفاع أسعار النفط إلى زيادة الناتج القومي الروسي وتقليل اعتماد موسكو على المساعدات الغربية، كما أن سعى بوتين إلى المزج بين التوجهين الأورو-أطلنطي والأوراسي الجديد بما يعزز المكانة الدولية لروسيا عبر تنويع دوائر

سياستها الخارجية من دون أن يعني ذلك الصدام مع الولايات المتحدة أو أوروبا. وعرفت استراتيجية السياسة الخارجية الروسية تحولاً ملحوظاً بعد الأزمة الأوكرانية ، والتدخل العسكري الروسي في الأزمة السورية⁽³²⁾ .

وتبلورت استراتيجية السياسة الخارجية الروسية من حيث ثوابتها وآلياتها في العديد من الوثائق الرسمية المتكاملة والمتناغمة ،⁽³³⁾ كوثيقة مفهوم السياسة

³² - إيلينا تشيرنينكو، كيف يمكن الوصول إلى مفهوم السياسة الخارجية للاتحاد الروسي، بالروسية علي الرابط التالي:

Концепциявнешнейполитики РФ accessible at: ЕленаЧерненко-
<http://www.globalaffairs.ru/number/Chto-napisano-perom-17437>

³³ - هذه الوثائق الأساسية(دستور الاتحاد الروسي).

- مفهوم السياسة الخارجية للاتحاد الروسي (وافق عليه رئيس الاتحاد الروسي فلاديمير بوتين في 30 نوفمبر 2016).

- مرسوم رئيس الاتحاد الروسي المؤرخ 7 مايو 2012 رقم 605 "بشأن تدابير تنفيذ مسار السياسة الخارجية للاتحاد الروسي".

- مفهوم الأمن القومي للاتحاد الروسي.

- استراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي حتى عام 2020.

- العقيدة العسكرية للاتحاد الروسي بصيغته المعدلة من عام 2015.

- العقيدة البحرية للاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2020.

- خطة وزارة الشؤون الخارجية للاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2018.

متاحة باللغة الروسية علي موقع وزارة الخارجية الروسية علي الرابط التالي:

ОсновополагающиедокументыAvailable at: :

http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents accessed:20/1/2018

وعلى الرابط :

الخارجية للاتحاد الروسي 2016، والمرسوم الرئاسي الصادر في 7 مايو 2012 رقم 605 "بشأن تدابير تنفيذ السياسة الخارجية للاتحاد الروسي"، و وثيقة مفهوم الأمن القومي للاتحاد الروسي، واستراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي حتى عام 2020، والعقيدة العسكرية للاتحاد الروسي بصيغته المعدلة من عام 2015، والعقيدة البحرية للاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2020، وخطة وزارة الشؤون الخارجية للاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2018. كما تم تحديث وثيقة مفهوم السياسة الخارجية "foreign policy concept" خمس مرات في عام 1993 وعام 2000 وعام 2008 وعام 2013، و في 14 فبراير 2014. وصدق الرئيس بوتين على النسخة الأخيرة من تلك الوثيقة في 30 نوفمبر 2016 التي تتضمن تشخيصًا للواقع الدولي وتحديدًا للمبادئ والاتجاهات الرئيسة للسياسة الروسية والأولويات سواءً من حيث القضايا أو المناطق التي يجب أن تحظى باهتمام خاص، و الخطوط الرئيسة لعمل الخارجية الروسية، وتصور الكرملين للمستجدات الجيواستراتيجية العالمية .

وتنص وثيقة مفهوم السياسة الخارجية الروسية في نسختها الأخيرة على أن تسارع العمليات العالمية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين والتغير السريع للأوضاع في العالم، يتطلب نظرة جديدة في مجالات رئيسة، مع إعادة النظر في أولويات السياسة الخارجية الروسية في ضوء زيادة مسؤوليتها عن تشكيل جدول

Основополагающие документы Available at: -

http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents

الأعمال الدولي وأسس للحركة الدولية داخل النظام الدولي؛ وفقاً لأعلى أولوية أمنية وطنية، وضمان أمن الفرد والمجتمع والدولة وصولاً إلى تعزيز الاتجاهات الجديدة للتنمية في العالم.⁽³⁴⁾

وتبين استراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي حتى عام 2020⁽³⁵⁾ ، وثيقة مفهوم السياسة الخارجية الروسية.⁽³⁶⁾ وخطة نشاط وزارة خارجية الاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2018.⁽³⁷⁾

ibid –34

–35 استراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي حتى عام 2020 علي موقع وزارة الخارجية الروسية علي الرابط التالي:

Стратегия национальной безопасности Российской Федерации до –
2020 года

Available at: http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/294430

–36 The Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation , Concept of the Foreign Policy of the Russian Federation, Op–Cit

–37 خطة نشاط وزارة خارجية الاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2018 علي موقع وزارة الخارجية الروسية.

План деятельности Министерства иностранных дел Российской Федерации на период до 2018 года. Available at:

http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/102086

أهداف السياسة الخارجية الروسية بتأكيد الأمن القومي الروسي من خلال حفظ وتقوية سيادة روسيا ووحدتها الإقليمية وتحقيقها مكانة مرموقة على الساحة الدولية، وتحقيق الاعتراف بها كقوة عظمي، ووحدة من أهم مراكز التأثير في العالم المعاصر، وذلك من خلال استراتيجية استعادة المكانة العالمية التي كان يتبوّؤها الاتحاد السوفيتي السابق في مرحلة الحرب الباردة، بتعظيم فرص الاستفادة من التطورات الإقليمية والدولية التي شهدتها دول العالم⁽³⁸⁾.

وضمن السياق ذاته اتجه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى زيادة اهتمامه نحو بلورة توجه جديد وفعال للسياسة الخارجية الروسية، وذلك ضمن استراتيجيته تعزيز القدرات الروسية والحفاظ على أمنها القومي ووحدة أراضيها في مواجهة المخاوف الروسية من التهديدات الناشئة والوافدة إليها من دول الجوار. حاولت روسيا تطوير وتعزيز قدراتها الداخلية والخارجية في إطار سياسة الردع والمواجهة لهذه التهديدات وذلك من خلال تطوير قدراتها العسكرية التقليدية وغير التقليدية مثل الأسلحة النووية من أجل حماية أمنها القومي، بالإضافة إلى منع أي تهديد عابر للحدود الروسية وإقامة قواعد عسكرية أجنبية في الدول المجاورة لها والتي كانت في السابق خاضعة لسيادة الاتحاد السوفيتي.⁽³⁹⁾

³⁸ - نبيه الأصفهاني، مستقبل التعاون الروسي - الإيراني في ضوء التقارب الأخير، مجلة السياسة الدولية، العدد 144، المجلد 36، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، أبريل 2001، ص 164.

³⁹ - عزالدين عبد الله سمهدانة، الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط 2007-2008م، دراسة حالة القضية الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة غزة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، فلسطين، 2012، ص 95.

ولم تقف تلك الاستراتيجية عند حد اتخاذ إجراءات دفاعية عن أمن روسيا وتهيئة المناخ لازدهارها الاقتصادي ، بل تضمنت إجراءات استباقية للردع الاستراتيجي باتخاذ وتطبيق مجموعة من التدابير السياسية والدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية والمعلوماتية وغيرها من الإجراءات المترابطة والرامية إلى إستباق الأفعال العدوانية المحتملة من قبل أية دولة معتدية والحيلولة دون وقوعها، بالإضافة إلى ضمان رسوخ النظام الدستوري ووحدة وسيادة روسيا الاتحادية، والدفاع عن الوطن وأمن واستقرار الدولة والمجتمع الروسي من أولويات الأمن القومي الأساسية.(40)

وتركز تلك الاستراتيجية أيضا على تخطي الضعف الاقتصادي الذي واكب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق واستعادة التكافؤ الاقتصادي مجددا بجذب الاستثمارات ورأس المال وتنشيط التجارة في الإنتاج العسكري وصادرات السلاح، وتوسيع شبكة العلاقات الاقتصادية الثنائية ، والاندماج في العديد من الكيانات والمنظمات الاقتصادية الإقليمية والدولية مثل مجموعة الدول الصناعية الثماني الكبرى، ومنتدى آسيا - باسيفك للتعاون الاقتصادي، ورابطة الأمم لجنوب شرق

40- خطة نشاط وزارة خارجية الاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2018، متاح باللغة الروسية علي موقع وزارة الخارجية علي الرابط التالي:

Пландеятельности Министерства иностранных дел Российской Федерации
и на период до 2018 года. Available at:

http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/102086

آسيا، وبجانب ذلك مشاركتها في العديد من المؤتمرات الاقتصادية على مستوى العالم.⁽⁴¹⁾

وتلح وثيقة استراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي حتى عام 2020 على بيان أن روسيا ستعمل على تعزيز المجموعة الاقتصادية الأوراسية باعتبارها نواة التكامل الاقتصادي وأداة للمساهمة في انجاز المشاريع الكبرى في مجال الطاقة والبنية التحتية والصناعة وغيرها من المشاريع المشتركة ذات الأهمية الإقليمية.⁽⁴²⁾

وتنص تلك الوثيقة على قيام استراتيجية السياسة الخارجية الروسية على السعي إلى تحقيق توازن بين المصالح القومية على أساس ما بينها من مشترك إنساني عام يقتضي العمل على خفض حدة التصعيد الدولي وتراجع المواجهات العسكرية بتعزيز التعاون الدولي في إطار الشراكات الثنائية والجماعية، والانفتاح على دول العالم.⁽⁴³⁾ كما تركز السياسة الخارجية على الدعم السياسي والدبلوماسي

41- السيد أمين شلبي، بوتين وسياسة روسيا الخارجية، مجلة السياسة الدولية، العدد 175،

المجلد 44، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، يناير 2009، ص 258.

42- استراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي حتى عام 2020 علي موقع وزارة الخارجية الروسية علي الرابط التالي:

Стратегия национальной безопасности Российской Федерации до 2020 года

Available at: http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/294430

43- حسني عماد، السياسة الخارجية الروسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2017م، ص 2.

لمشاريع تنمية في الخارج، وتعزيز مصالح الشركات الروسية المشاركة في المناقصات الدولية لتطوير الرواسب المعدنية، وبناء خطوط أنابيب النفط والغاز ومرافق الطاقة، للوصول إلى أحدث التقنيات، ودعم الصادرات ومنتجات التكنولوجيا الروسية، وتوفير المعلومات، والدعم القنصلي والسياسي لرجال الأعمال، والأولوية للدبلوماسية الاقتصادية بهدف المشاركة الكاملة في منظمة التجارة العالمية، وتكثيف الحوار مع منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وتعزيز المصالح الاقتصادية الروسية في الساحة الدولية، وتعميق التكامل في الاقتصاد العالمي.⁽⁴⁴⁾

وانطلاقاً من حفظ الأمن القومي الروسي وتعزيز العلاقات الروسية الخارجية في كافة المجالات وتوسيع دوائر النفوذ الروسي ترمي تلك الاستراتيجية إلى إقامة نظام دولي متعدد الأقطاب . فلقد داعب الولايات المتحدة حلمها المتمثل في أن تصير هي القطب العالمي الأوحيد المهيمن. ولم تجد الولايات المتحدة حساب ردود الفعل العالمية، وفي الصدارة منها رد الفعل الروسي. وتجلي معطيات مآلات التدخلات الأمريكية في أفغانستان وفي العراق، وفي العديد من الملفات الإقليمية والعدولية حقيقة إخفاقها في مواجهة القدرة الروسية والصينية على التكيف مع

44- خطة نشاط وزارة خارجية الاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2018، متاح باللغة الروسية علي موقع وزارة الخارجية علي الرابط التالي:

Пландеятельности Министерства иностранных дел Российской Федерации
и на период до 2018 года. Available at:
http://www.mid.ru/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCk6BZ29/content/id/102086

المتغيرات الجديدة وتحويلها في اتجاه التعددية القطبية، وإن كان النظام الدولي لا يزال سائلا ولم تستقر قواعده بعد، حيث لا يزال نظام الأمم المتحدة المعبر عن معطيات م بعد الحرب العالمية الثانية قائما على الأقل من وجهة النظر القانونية . فلا تزال لروسيا أهمية خاصة، ليس فقط لكونها لا تزال قوة عظمى بالمعيار العسكري، وبمعيار المساحة، والموارد الاقتصادية، والقدرات الكامنة العلمية والتكنولوجية، ولكن نظراً لما حققته من إنجازات في الداخل والخارج منذ تولي فلاديمير بوتين رئاستها عام 2000م من خطوات جادة للعودة إلى السياسة العالمية بعد فترة جد قصيرة بأعمار الأمم بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق. (45)

فلقد انتهجت روسيا في سياستها الخارجية في العقد الأخيرين توجهات قائمة على محاولة استعادة التوازن في هيكل النظام الدولي، وإرساء لبنات لنظام دولي متوازن متعدد الأقطاب خاصة في ظل التراجع النسبي للولايات المتحدة الأمريكية على مجريات الأوضاع في السياسة الدولية، وصعود قوى أخرى دولية وإقليمية كالصين والهند والبرازيل وغيرها والتي باتت تشكل قوى صاعدة تسعى إلى تقاسم النفوذ مع الولايات المتحدة. ومن ناحية أخرى تسعى روسيا في التأثير ضمن إطار النظام الدولي الحالي بمحاولة إقامة تحالفات إقليمية ودولية وتطوير علاقاتها مع دول العالم المختلفة بهدف إعادة رسم خريطة النظام الدولي في إطار من العمل الجماعي الذي افتقده النظام الدولي بعد انهيار الكتلة السوفيتية وسعي الولايات

45- مصطفى صلاح، حدود التأثير ومستقبل الدور: الدور الروسي في الشرق الأوسط، المركز

العربي للبحوث والدراسات، بتاريخ 11 أبريل 2018م، على الرابط:

<https://kitabab.com/cultural/حدود-التأثير-ومستقبل-الدور-الدور-الرو/>

المتحدة إلى السيطرة على مجريات السياسة الدولية دون أي اعتبار لمصالح باقي الدول.⁽⁴⁶⁾

وإجمالاً يمكن القول أن استراتيجية السياسة الخارجية الروسية تركز على ستة مبادئ جيوستراتيجية عامة، أولها: ضمان أمن البلاد، وحماية وتعزيز سيادتها وسلامة أراضيها، وتأمين مكانتها الرفيعة في المجتمع الدولي كأحد الأقطاب البالغة التأثير والقدرة التنافسية في العالم الحديث.

وثانيها: تهيئة ظروف خارجية مواتية لنمو مستمر ودينامي للاقتصاد الروسي وتحديثه تكنولوجيا بهدف وضعه على مسار التنمية الشاملة المستدامة القائمة على اقتصاد المعرفة و الابتكار، بغية تحسين نوعية الحياة، وتعزيز سيادة القانون والمؤسسات الديمقراطية، وضمان حقوق الإنسان والحريات.

وثالثها: المساهمة الفعالة في تحقيق السلم والأمن الدولي والاستقرار العالمي ، والدعوة إلى إقامة نظام عادل وديمقراطي للعلاقات الدولية يقوم على صنع القرار الجماعي في معالجة القضايا العالمية، وعلى أولوية القانون الدولي، بما في ذلك - أولاً وقبل كل شيء - ميثاق الأمم المتحدة، وكذلك على علاقات الشراكة المتساوية بين الدول مع الدور التنسيقي المركزي للأمم المتحدة باعتبارها المنظمة الرئيسية التي تنظم العلاقات الدولية.

ورابعها: تعزيز علاقات حسن الجوار مع الدول المجاورة والمساعدة في التغلب على التوترات والنزاعات المحتملة في المناطق المتاخمة للاتحاد الروسي.

⁴⁶- مصطفى صلاح، حدود التأثير ومستقبل الدور: الدور الروسي في الشرق الأوسط، المرجع السابق.

وخامسها: إقامة علاقات شراكة ثنائية ومتعددة الأطراف مفيدة ومتبادلة المنفعة مع الدول الأخرى، ومع المنظمات والمنشآت الدولية على أساس احترام الاستقلالية والسيادة، والبراغماتية، والشفافية، وتعزيز التعاون الدولي الواسع وتيسير تشكيل تحالفات مرنة مع مشاركة نشطة لروسيا فيها .

وسادسها: تقوية مواقف روسيا في النظام التجاري والاقتصادي الدولي، وتقديم الدعم الدبلوماسي لرجال الأعمال الوطنيين في الخارج، ومنع التمييز ضد السلع والخدمات أو الاستثمارات الروسية، والاستفادة من إمكانات المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية والإقليمية لتحقيق هذه الغاية.⁽⁴⁷⁾

وفيما يتعلق بمحددات السياسة الخارجية الروسية فإن روسيا شأنها شأن الدول العظمى فيما يتعلق بالتوازن بين المحددات الداخلية والخارجية، وبين الاعتبارات الداخلية والخارجية، وتسعى روسيا إلى استثمار السياسة الخارجية بما يحقق مصالحها القومية، وعند الحديث عن الدور الروسي في النظام الدولي لا يمكن فهم المحددات المؤثرة في السياسة الروسية دون النظر إلى تاريخية هذا الدور، كمدخل لتحليل الدور الروسي الراهن، أو لفهم مدى إمكانه تأثيره، مع الأخذ بعين الاعتبار

–47 Концепция внешней политики Российской Федерации

(Утверждена Президентом Российской Федерации В.В. Путиным 12

февраля 2013 г) on the web:

<http://www.scrf.gov.ru/documents/2/25.html>

اختفاء الطابع الأيديولوجي الاشتراكي الذي كان ينطلق منه الاتحاد السوفيتي السابق في سياسته الخارجية. (48)

خاتمة

حاولت الدراسة تقديم الخطوط العريضة لاستراتيجية السياسة الخارجية الروسية في عهد بوتين والتي كشفت عن حقيقة مزدوجة تتمثل في الحفاظ البالغ على ثوابتها التاريخية، وبصمة بوتين الواضحة في تكييف المتغيرات المعاصرة بما يخدم تلك الثوابت. وقد أولت القيادة الروسية أهمية بالغة لتحقيق هذه الأهداف ضمن هذه الاستراتيجية القومية لها.

إن السياسة الخارجية الروسية في القرن الحادي والعشرين تتبع نهجًا مزدوجًا لسيادة الدول وذلك باستخدام نموذج ويستفاليا لفرض السيادة خارج منطقة الاتحاد السوفيتي السابق ونموذج ما بعد الاتحاد السوفيتي لفرضها داخله. وهذا النهج يؤدي ثلاث وظائف في السياسة الخارجية الروسية المعاصرة على هذا النحو من تأمين المصالح الوطنية الروسية في المستويات المحلية والإقليمية والدولية، والتوازن ضد الولايات المتحدة "في نظام متعدد الأقطاب"، وتحاول السياسة الخارجية

48- عبدالغني سلامة، السياسة الروسية في الشرق الأوسط، الحوار المتمدن، بتاريخ 13 أبريل 2011، ص 173، على الرابط:

<file:///E:/%D8%AA%D9%86%D8%B2%D9%8A%D9%84%20%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%88%D8%B3%D8%B7.pdf>

الروسية إدارة مثل هذا الصراع لتحقيق المصالح الوطنية من منطق الدفاع عن الذات.

وبناء على ذلك تسهم هذه المداخل في معرفة الاتجاهات الأساسية الرسمية للتفكير الاستراتيجي الروسي بعيداً عن تصورات الغرب وقناعاته بشأن هذه الاتجاهات. كما أن القراءة المعمقة لهذه الاستراتيجية تسهم في وضعنا في الصورة الحقيقية للأولويات الاستراتيجية لروسيا الاتحادية ومركزات الأمن القومي الروسي وخاصة على صعيد معرفة الافتراضات والمفاهيم الأساسية التي تنطلق منها روسيا في فهم العلاقات الدولية والتعامل مع قضاياها ومشكلاتها الأساسية.